

الرسالة

قال " الشافعي " : فإنما خاطبنا بكتابه العرب [ص 52] بلسانها على ما تعرّف من معانيها وكان مما تعرف من معانيها : اتساع لسانها وأنّ فطرته أنّ يخاطب بالشياء منه عامّاً ظاهرّاً يُراد به العام الظاهر ويُسْتغنى بأوّل هذا منه عن آخره . وعامّاً ظاهراً يراد به العام ويدّخله الخاصّ فيُسْتدلُّ على هذا بدعوى ما خاطب به فيه وعامّاً ظاهراً يُراد به الخاص . وظاهراً يُعرّف في سياقه أنّّه يُراد به غير ظاهره . فكلّ هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره . وتبتدئ الشياء من كلامها يُبدىّن أوّل لفظها فيه عن آخره . وتبتدئ الشياء يبين آخر لفظها منه عن أوّلها .

وتكلّم بالشياء تُعرّفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ كما تعرّف الإشارة ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها لانفراد أهل علمها به دون أهل جهالتها .

وتسمّي الشياء الواحد بالأسماء الكثيرة وتُسمى بالاسم الواحد المعاني الكثيرة . وكانت هذه الوجوه التي وصفت اجتماعها في معرفة أهل العلم منها به - وإن اختلفت أسباب معرفتها - : معرفة (1) واضحة [ص 53] عندها ومستنكراً عند غيرها ممن جهل هذا من لسانها وبلسانها نزل الكتاب وجاءت السنة فتكلّف القول في علمها تكلّف ما يجهل بعضه .

ومن تكلّف ما جهل وما لم تُثبته معرفته : كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير مَحْمُودة وإن أعلم وكان بخطئه غير مَعذُورٍ وإذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه .